



إنَّ من أَهْمَّ أَسْبَابِ النَّصْرِ، إِقَامَةُ الْعَدْلِ، وَمَنْعِ الظُّلْمِ، وَفِي الْمُقَابِلِ فَإِنَّ الظُّلْمَ سَبَبٌ لِحَرْمَانِ النَّصْرِ، وَنَزْوَلِ الْبَلَاءِ، وَتَسْلُطِ
الْأَعْدَاءِ، قَالَ تَعَالَى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ النَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَبَيْبَاتٍ أَحْلَلْنَا لَهُمْ). [النَّسَاءُ 160].

وَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى يُعْطِي الظَّالِمِينَ مَهْلَةً، فَإِذَا لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ ظُلْمِهِمْ أَخْذُهُمْ بِالْهَلاَكِ، قَالَ تَعَالَى: (وَكَأَيْنَ مِنْ قَرِيْبَةِ أَمْلَيْتُ
لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَتْهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ). [الْحُجَّ 48].

هَذِهِ الْمَهْلَةُ يَجِبُ أَنْ يَسْتَثْمِرَهَا أَهْلُ الْإِصْلَاحِ فِي تَغْيِيرِ الْوَاقِعِ، وَرَدْعِ الظَّالِمِينَ عَنْ ظُلْمِهِمْ، قَالَ سَبَحَنَهُ: (وَتَلْكَ الْقُرَى أَهْلَكَنَا هُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا). [الْكَهْفُ 59].

لَقَدْ أَحْسَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَظْلَمَةِ بَعِيرٍ، وَوَبْعَدِ مَالِكٍهُ عَلَى ظُلْمِهِ لَهُ، حِينَ دَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ
الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُرَابَهُ وَذَرَفَاهُ؛ فَسَكَنَ، فَقَالَ: "مَنْ صَاحِبُ
الْجَمَلِ؟" فَجَاءَ فَتَّى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "أَمَا تَتَقَرَّبُ إِلَيَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَهَا اللَّهُ، إِنَّهُ
شَكَ إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيَعُهُ وَتُدَبِّهُ". [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ وَالْحَاكمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ].

هَذَا إِذَا كَانَ مَعَ الْحَيْوَانِ فَكِيفَ عَنْ ظُلْمِ إِلَيْسَانِ؟ فَهَلْ نَنْتَظِرُ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظَالُمُ، وَنَأْكُلُ الْحَقُوقَ، وَلَا نَقِيمُ الْعَدْلَ؟

لَقَدْ اسْتَحْبَبَ الْفَقَهَاءُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِرَدِّ الْمَظَالِمِ قَبْلَ صَلَةِ الْإِسْتِسْقَاءِ، كَيْ يَمْنَحُهُمُ اللَّهُ مَا حَرَمَهُمْ إِيَّاهُ بِسَبِّ ذُنُوبِهِمْ،

هَذَا إِذَا كَانَ فِي سُقْيَا الْمَطَرِ، فَكِيفَ فِي سُقْيَا النَّصْرِ وَرَفْعِ الْكَرْبِ؟

وَإِنَّ الْمَتَّأْمِلَ فِي حَالِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحْرِيرِهَا مِنْ أَيْدِي الظَّالِمِينَ، يَجِدُ ظَلْمًا وَاقِعًا بَيْنَ النَّاسِ، وَاجِبٌ عَلَيْنَا أَنْ

نمنعه، وأن ننصح الظالم بالكف عن ظلمه، وإرجاع الحقوق لأصحابها، وتطبيق العدل، طاعة لأمر الله، ونصرة للمظلوم، وطمعاً في تعجيل النصر، وخوفاً من أن يأخذ الله الظالم والساكرين عنه، قال تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخْنَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِذَابٍ بَيْسِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ). [الأعراف 165]، وفي الحديث: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْ شَكَّ أَنْ يَعْمَمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِّنْهُ". [الترمذى].

نعم علينا أن ننصح كل ظالم أن يُقلع عن ظلمه، لأنه لا نصر لنا ولا تمكين لنا، إذا أيدنا الظالمين على الضعفاء، ففي الحديث: «هَلْ تُتَصْرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعْفَائِكُمْ»، فكيف إذا طالتنا دعوة المظلوم؛ التي يقول لها الله: "وعزتي لأنصرك ولو بعد حين"، والتي تطال الظالم وكل من يشد على يديه، بل ويركن إليه ويرضى عنه، قال تعالى: (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَقَمَسَكُمُ النَّارُ). [هود 113]، لأنه لا يؤيد الظالم إلا ظالم مثله، قال سبحانه: (وَكَذَلِكَ تُولِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). [الأنعام 129].

وإننا الآن إذ نحت الجميع على رفع الظلم، ورد المظلوم، وإقامة العدل، فلأننا إن تأخرنا في ذلك، سيصعب علينا إصلاح ما فسد، فنزع الظلم الآن أيسر مما لو تجذر، فإن طال وتعمّق فلا ينزع وقتها إلا ببلاء عظيم، والعياذ بالله، فبقدر تجذر الظلم تكون مشقة اسْتِصاله.

المصادر: